دراساتٌ لغويّة:

فاعلية السياق وحيز المعنى عند ستيفن أولمان

The effectiveness of context on the realm of meaning according to Stephen Ullmann

Keberkesanan Konteks terhadap Dunia makna mengikut Stephan Ullman

كمال علوش*

ملخص البحث:

تتطلع أهداف هذه الورقة البحثية إلى مقاربة مفاهمية للسياق عند ستيفن أولمان، وفاعليته في المعنى المرتبط بحيز زماني ومكاني وفضاء دلالي موجود على مستوى الذهن هو جزء من هذا الأخير، وأثر كل من السياق والمعنى في توجيه دلالات الخطاب، وسيعتمد البحث المنهج الوصفي وتفعيل أداة التحليل للتعامل مع مقولاته المتعلقة بالمعنى النفسي الخاضع للسياق العاطفي، ومنطقة المعنى وتناوب المعنى وتعدده، وخضوع المعنى لقانون التضاؤل التدريجي، ومن ثمة يمكن اعتماد منهجية ترتكز إلى التدرج في طرح مادة البحث والإضافات التي قدمها وكانت سبباً في ارتقائها وتطورها تدريجياً مقارنة بما قدمه مؤسسها جون فيرث. توصلت الدراسة إلى ما يأتي: شيد ستيفن أولمان بقيمة نظرية السياق وما حققته من إنجازات فعلية في التعامل مع المعنى وتقديم نظرية تغطي حاجات الباحثين من علماء الدلالة وتحليل الخطاب واللسانيات بفروعها، وتجلت لمسته الخاصة فيما أضافه لهذه النظرية حتى يكتمل بناؤها؛ إذ أسس قيمة للسياق العاطفي المتضمن المعاني النفسية المشحونة بانفعالات منتجي الخطاب ومتلقيه، وأعطى للمعنى توجهاً نفسياً يمكن للسياق الخطابي أن يعدل في توجيهه على الرغم من ذلك الحيز الذي يشغله فضاء المعنى المفروض من قبل الاستعمال اللغوي، وبإمكانه أن يتعرض في بعض الحالات إلى قانون التضاؤل التدريجي فيفقد تلك الشحنة العاطفية المتدرجة أثناء لحظات إنتاج الخطاب .

---

* الدكتور كمال علوش، محاضر (أ)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، الجزائر.

أرسل البحث بتاريخ ٢٠١٩/١/١٣م، وقبل بتاريخ ٢٠١٩/٥/٢٣م.

الكلمات المفتاحية: السياق–الفاعلية–المعنى–منطقة المعنى–تضاؤل المعنى.

Abstract

This paper intends to conceptually approach Stephen Ullmann's notion about the context and its contribution to the spatial-temporal aspects related meaning, mentally present within the semantic frame. The present study looks also at the influence of both the context and meaning in directing the message of the discourse. The approach will be hence applied according to the context theory presented in his book entitled "The Role of the Word in the Language". The study tackles the topic descriptively through analyzing his views on the psychological meaning influenced by the emotional context, the meaning zone, the alternative, and multiple meanings as well as the subjection of meaning to the rule of gradual diminishing of meaning. Subsequently, a methodology can be focused to subsequently approach the subject of the study and the additions that he put forward as they are the reason in their eventual progress in comparison with what has been presented by Firth as its founder. The study concludes with the following: Ullman had established a theory of context that explains actual actions in dealing with meaning. He had also presented a theory that covers the needs of researchers among the scholars of semantics, discourse analysis and other branches of linguistics. His personal touch is in the additions he made that contributed to the completion of the theory. This was when he establishes the valuable role of the emotional context that comprises psychological meanings that are charged with the emotions of the text producer and its receivers. He also gave psychological orientation to meaning that would enable the context of discourse to incline to in its orientation albeit the biases that occupies the realm of meaning as imposed by the language use as it can be exposed on some occasions to the rule of eventual diminishing that would lose the emotional charge while in the process of producing the text.

Keywords: Context - Effectiveness – Meaning realm - Area of meaning - Diminishing meaning.

Abstrak

Kajian ini bertujuan secara konsepnya untuk membincangkan pendapat Ullman berkenaan dengan konteks dan sumbangannya terhadap aspek masa dan tempat yang berkaitan dengan masa yang secara sedarnya terangkum di dalam kerangka semantik. Kajian ini turut membincangkan pengaruh kedua-dua konteks dan maksud dalam membentuk tujuan mesej dalam sesebuah wacana. Pendekatan ini akan digunakan mengikut teori konteks yang terdapat di dalam buku beliau yang berjudul "Perana Perkataan dalam bahasa". Kajian ini juga menteliti isu ini secara deskriptif dengan menganalisa pendapat beliau tentang aspek psikologi makna yang dipengaruhi konteks emosi, zon makna, alternatif perkataan dan kepelbagaian makna juga bagaimana semuanya adalah tertakluk kepada pengarauh undang-undang kehilangan makna secara berperingkat. Seterusnya, satu pendekatan kajian boleh difokuskan untuk mendekati subjek kajian dan tambahan pendapat-pendapatnya yang dilihat sebagai sebab perkembangan teori koteks jika dibandingkan dengan apa yang telah dikemukakan oleh Firth sebagai pengasas teori tersebut. Kajian ini merumuskan yang

berikut: Ullman telah memulakan satu teori berkenaan konteks yang menerangkan perlakuan sebenar dalam menangani makna. Beliau juga mengemukakan satu teori yang meliputi keperluan para pengkaji dalam kalangan pakar semantik, analisa wacana dan lain-lain cabang-cabang lain dalam linguistic. Sentuhan peribadai beliau dalam tambahan-tambahan pendapat yang beliau buat telah menyumbang kepada penyempurnaan teori tersebut. Ini adalah apablia beliau menekankan peranan penting konteks emosi yang mengandungi maksud psikologi yang penuh dengan emosi penghantar dan penerima mesej. Disamping itu belau juga memberikan orientasi psikologi kepada makna yang akan membenarkan konteks sesuatu wacana cenderung kepada kebiasaannya walaupun terdapat kecenderungan dalam dunia makna yang dikawal oleh bahasa itu sendiri yang boleh dikaitkan dengan undang-undang kehilangan makna secara berperingkat yang akan membuatkan kesan emosi itu ketika dalam proses menghasilan sesuatu teks.

Kata kunci: Koteks – Keberkesanan – Dunia Makna – Jangkauan Makna – Makna yang menghilang.

مقدمة :

يشكل السياق المرتكز الأساسي بالنسبة إلى النظرية السياقية وروادها؛ إذ يعتبر الفاصل الوحيد في توجيه دلالات الألفاظ والنصوص، ولا يمكن لمنجز الخطاب أو متلقيه أن يصرف قرينة السياق بأنواعه بعيدا عن عقده لعلاقات الألفاظ والنصوص بدلالاتها مركزا على اللفظ أو النص بانفرادية تامة، وهذه الرؤية هي عين المفارقة بالذات بين بعض السياقيين، والتي شكلت وجهة اختلاف وفارق نسبي قد يبدو بسيطا لدى البعض ولكنه يكتسي أهمية بالغة عند الآخر.

لا شك أن زخم المعرفة بالسياق عند الباحثين يجعل الدارس للسياق يحاول التطلع أكثر لمعرفة هذه المفارقة بين هؤلاء أمثال جون فيرث وفندريس وبالمر وجون لاينز ومالينوفسكي وهاليداي وستيفن أولمان وغيرهم من السياقيين الذين يمثلون اللسانيات الغربية، وعلى غرار رواد السياق في التراث العربي أمثال سيبويه والجرجاني وابن جني والجاحظ الذين يمثلون علماء اللغة والبلاغة العربية فضلاً عن أهل التفسير وأصول الفقه الذين مثلوا حق التمثيل النظرية السياقية، إن لم نقل أنهم الأسبق في طرح معالمها الكبرى وبالتفصيل، وسواء كانت الجهود متنوعة الطرح من قبل اللسانيين الغربيين أم علماء التراث العربي، فإن المكسب في الأخير هو معرفة حقيقة وجوهر المعنى وطريق توجيهه ضمن الكلمات وضمن النصوص أو الخطابات .

ولقد حاولت كثير من النظريات اللسانية والدلالية كالتصورية والإشارية والسلوكية تفسيره برؤيتها الخاصة واجتهادها المتواضع، مثلما حاول أهل اللغة والبلاغة العربية بتوظيفهم لجميع أنواع السياق كاللغوي والمقامي والثقافي والعاطفي التي تندرج ضمن ما يقتضيه الحال، وفرقوا بين المعاني الأساسية المركزية والهامشية والإيحائية والعاطفية، ومن ثمة اتضحت أوجه التشابه في الطرح وبعض الفوارق والاختلافات التي ترجع في الأصل إلى منطلقات أصحابها ومفاهيمهم المشكلة لهذا الحقل المعرفي، وإذا كان هناك ما يلزم الباحث التعرف على بعض المفارقات في هذا الطرح، لزم ذلك معرفة طروحات ستيفن أولمان ومفارقته لزعيم المدرسة السياقية جون فيرث أو المدرسة الفيرثية، وكونه أحد روادها المشهورين والمتأخرين الذين تبيّن أنهم قد أضافوا لمسة خاصة في طرحهم السياقي ورؤيتهم للمعنى، وقبل الحديث عن رؤيته للسياق وتأثيراته في المعنى، استوجب المقام من الباحث وقفة موجزة عند بعض تعريفات معاجم اللغة العربية للسياق ومفاهيمه في الطروحات اللسانية العربية والغربية .

أولاً: السياق بين التفسير المعجمي والطرح اللساني (العربي والغربي)

جاء في معجم **لسان العرب**: (السوق معروف ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق .... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت وكذلك تقاودت، فهي متقاودة ومتساوقة وفي حديث أم معبد فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق أي ما تتابع والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، والأصل في تساوق تتساوق كأنها لضعفها وهزلها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير ... وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها ...)،[1] وذكر الزبيدي في معجمه **تاج العروس** عن مادة سوق:(....، وساق الماشية سوقا وسياقة بالكسر ومساقا وسياقا كسحاب، واستقها واستاقها وأساقها فانساقت فهو سائق وسواق كشداد شدد للمبالغة قال أبو رغبة الخاجي، وقيل للحطم القيسي:

قَدْ لَفَّهاَ اَللَّيْلُ بِسوَاقٍ حُطَمِ لَيسَ بِراعي إبلٍ وَلاَ غَنَمِ).[2]

وأما ما ذكر في المحكم والمحيط الأعظم: (ساق الإبل وغيرها سوقا وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد ﴾،[3] قيل في التفسير سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها .... وساق إليها الصداق والمهر سياقا، وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدينار والدرهم وغيرهما).[4]

ومن جملة التعريفات المعجمية يتبيّن أن السياق هو ذلك التتابع والتوارد ضمن نسق واحد؛ أي تتابع الأشياء وتساوقها مهما كان نوعها سواء مجردات كالكلمات أح محسوسات كالأشياء، ومن ثمّ يفرض هذا التساوق وجود علاقات ترابطية بين هذه العناصر المتساوقة التي تشكل سلسلة أو حلقة متراصفة فيما بينها.

وإذا ما تتبعنا المفاهيم الاصطلاحية للسياق سنجد الساحة العلمية اللسانية على المستويين العربي والغربي، قد اِكْتَظَّت بمعاني كثيرة ومتنوعة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حضور السياق بأنواعه وعلى مر الزمن في الفكر الإنساني، فمن مفاهيمه على سبيل المثال: (.... هو تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها وسوف ندعو هذا بالتعريف النموذجي)،[5] فيتضح من هذا المفهوم أنه تلك المتساوقات والمتتابعات اللسانية التي تحدث ضمن الخطاب منها الصوتية

والصرفية والمعجمية وما يقع بينها من علاقات تراتبية،[٦] ولقد أشار تمام حسان إلى أن اللغويين العرب وخاصةً البلاغيين قد أثاروا مسألة السياق الاجتماعي، وأولوها عناية فائقة في فهم المنجزات الخطابية وتحليل مقاصدها وعالجوها ضمن ما يسمى بالمقام أو مقتضى الحال، فهو يقول بأن البلاغيين قد فهموا (المقام) أو مقتضى الحال فهما سكونياً قالبياً نمطياً مجرداً ثم قالوا لكل مقام مقال.[٧]

ولطالما كان رواد البلاغة العربية يوظفون السياق بنوعيه من أجل فهم ما التبس وغمض من المعاني ضمن الخطابات، فاستعانوا به بوصفه أداة في تفسير وتوضيح مغزى الكلام وحصول الإفهام بين المتكلمين والسامعين، وإذا كانت مسألة غموض المعنى من القضايا التي طرقها ستيفن أولمان وشكلت بؤرة من بؤر توتر المعنى ضمن حيز أو فضاء يطرحه التعدد الدلالي، فإن البلاغين أمثال الجرجاني وابن جني قد خصوا هذه المسألة بكثير من التوضيحات والشروح، وأشاروا إلى أن صمام الأمان في الكشف عن مثل هذا الغموض هو السياق، وهو ما تؤكده فعلا مقولة الجرجاني: (دلالة الكلام على ضربين لفظية أولية ومعنوية ثانوية، الأول ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل به إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل).[٨]

إن ما قدمه أهل معاجم العربية من جهود في تتبعهم لألفاظ اللغة وشرح دلالاتها عبر سياق اجتماعي وتاريخي تمثل في تلك الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والمناسبات لدليل على اهتمامهم بالسياق وبنوعيه؛ لأنهم رصدوا اللغة في حركتها الاجتماعية ولاحظوا السياق الذي تجري ضمنه، ولقد أكد سيبويه في وقت مبكر على تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح ووضع الألفاظ في غير موضعها دليل على قبح النظم وفساده، فلكل استعمال دلالة وكل تغيير في الاستعمال يلزم تغييرا في الدلالة، ولقد وعى سيبويه العلاقات الدلالية والتركيبية التي تحكم السياق اللغوي، والذي تكون عليه بنية الجملة وما يعتورها من تغيير تنعقد من خلاله العلاقات بين طبيعة هذا التغيير وما يتمخض عنه من دلالة وفق نظام نحوي دلالي يحدد اقتران الملفوظ بدلالته.

كما أن تقسيمات علماء اللغة النحويين القدامى الكلام إلى أقسام ومنهم سيبويه والخليل وابن جني وفق الفرد ومكانته واستخدامهم الهمزة للمتكلم والتاء للمخاطب، وملاحظتهم حال الخطاب والمخاطب

ودرجة قرابته وبعده، ومعالجتهم مسألة تقديم الكلام وتأخيره كالمفعول على الفاعل، ومراعاتهم قواعد الحذف والذكر في المنجز الخطابي دليل على وعيهم المكتمل بالسياق والخطاب، ولقد أكدوا أنه لكل موقف تركيب يتلاءم معه: (فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبين بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجعله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس).[٩]

لقد تعامل العرب مع السياق حق التعامل واستعانوا به في كثير من المواقف لإزالة اللبس الذي يعتور معاني اللغة، وهذا الاعتراف من أحد الباحثين يؤكد هذه الحقيقة: (فإننا نلحظ باعتزاز ما استكمله العلماء العرب القدامى على اختلاف مكوناتهم الثقافية وتخصصاتهم المعرفية من دراسات مستفيضة لدور السياق في الكشف عن دلالة الكلمة أو الكشف عن فعلها في حركة التركيب الذي ترد فيه أو ملاحظة بنيتها الصرفية أو وظيفتها النحوية أو وجودها في التركيب المشكل أو الخفي أو الغامض أو المحكم أو المتشابه أو النص أو المفسر مما سبق أن عرضناه مفصلا وزادوا على ذلك أدوارا أخرى للسياق في توجيهه للمعنى ورفع أي توهم أو لبس أو غموض فيه).[١٠] ففي كثير من الحالات كان هؤلاء يستعينون بالسياق على توضيح دلالات الاشتراك وتفسير المحظور اللغوي وتبيان دلالة العدول والنيابة في اللغة مع مراعاتهم لجميع أنواع المقامات، فالجاحظ من أهل البلاغة مثلا قد جعل كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات، وعليه لا يجوز أن يكلم الخطيب البليغ سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة.

ولا يمكن لنا بحق أن نغفل الجهود التي قدمها علماء الأصول في استخراجهم للأحكام الشرعية من النص القرآني، فوظفوا كل ما في وسعهم من توظيف لجميع أنواع السياقات في تخريج دلالات الاشتراك والمجمل والعام والخاص بدءاً من الشافعي رحمة الله عليه مرورا بعلماء آخرين أمثال الشوكاني والشاطبي وتاج الدين السبكي والزركشي وابن القيم والسيوطي، والذين كانوا على معرفة جيدة بقواعد الاستنباط والتخريج واللغة ودلالات ألفاظها وتراكيبها، ومثله في ذلك أهل التفسير الذين وضعوا شروطاً لمن أراد أن ينظم هذا العلم الجليل؛ إذ كان أكثر هذه الشروط اهتماما هو معرفة أسباب النزول والمناسبة الخاصة بكل سورة وفهم المقاصد ومعرفة الناسخ من المنسوخ ومعرفة ما كان من كلام الله على الإجمال وما كان منه على التفصيل.

وأما بالنسبة إلى طروحات السياق في الفكر اللساني الغربي فإن المدرسة السياقية التي تزعمها جون فيرث تنطلق في تحليلها للمعنى من اعتبار اللغة وظيفة في سياق؛ ولذلك أقر فيرث بجهود مالينوفسكي في توظيفه للسياق الثقافي والمعرفي الذي اتخذ منه وسيلة لفهم المعنى، ومع هذا يرى أن هذا النوع من السياق غير كافٍ في حل مشكلة المعنى، فهو جزء لا يتجزأ من السياقات الاجتماعية التي ينبغي أن تدعم بسياقات أخرى كسياق المقام الذي يراعي الزمان والمكان، وعلى اللساني في نظره أن يتخذ من المقام أداة مثلها مثل أدوات السياق اللساني كالصرف والصوت والمعجم والتركيب التي تخضع للترابط النصي، وينبغي أن تكون ملائمة لمنجزات اللغة، وعلى هذا النهج افترض جون فيرث مجموعة من التصانيف يمكن من خلالها تطبيق أداة السياق الاجتماعي في تحليل المعنى وهي تتبع السمات المهمة للشخصيات المنتجة للحدث الكلامي وتأثيراتها في المتلقي، ومراعاة جهدها اللفظي مع الجهد غير اللفظي المتمثل في السياق الحسي من إشارات وغيرها،[١١] ومنه يمكن القول بأن مالينوفسكي وفيرث قد تجاوزا المعنى القديم للسياق إلى المعنى الحديث لما ربطاه بالظروف الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية.[١٢]

والحاصل أن ما أقر به هذان الأخيران ليصدر من سراج واحد، فسياق الثقافة والمعرفة متضمن في الحالة الاجتماعية التي تتشكل ضمنها المنجزات الخطابية وتنعكس صورتها في السياق اللساني؛ ولذلك نجد بالمر يشير إلى هذا الفرق الطفيف بينهما فيقول: (إن لفظة سياق الحالة مرتبطة بعالمين أولا الأنثربولوجي مالينوفسكي وثانيا اللساني فيرث، وكلاهما مهتم بتحديد المعنى بموجب السياق الذي تستعمل فيه اللغة، ولكن بطرق مختلفة إلى حد ما)،[١٣] ولهذا يمكن القول إن فيرث قد طور من دراسة اللغة وانتقل من السياق اللغوي والأنثربولوجي إلى سياق الحالة الذي وظفه في فهم المعنى المرتبط بالسياق اللساني المؤسس وفق بنى نحوية وصرفية وتركيبية ومعجمية تؤدي وظيفتها داخل النظام اللغوي،[١٤] وإذا كانت دراسة فيرث للمعنى قد أوجبته أن يفسره بهذا الطرح الاجتماعي، فهذا لا يعني مطلقاً استغناؤه عن السياق اللساني؛ بل يعتبر اللغة وظيفة في سياق؛ ولذلك أشار فندريس إلى أن الكلمات كذلك لها معانيها وهي خارج حدود السياق، فقط أن وجودها ضمنه يفرض عليها معنى واحدا فيقول: (أننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد، لا نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما؛ إذ لا يطفو في الشعور، فالمعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتنمحي وتتبدد ولا توجد إطلاقاً).[١٥]

ثانياً: المنطلقات الأساسية لبناء الطرح السياقي عند أولمان

إن الكلمة والجملة أو العبارة والقطعة من النص بل والكتاب كله في نظر أولمان جزء من السياق؛ لأن كل واحد منها يتجاذب مع الآخر ليشكل هذا الكل، وهذه الرؤية تحيلنا إلى رؤية مشابهة تماما مع رؤية هاليدي وفون دايك اللذين ركزا على السياق في تفسيرهما للمعنى ضمن النص وضمن الأفعال الكلامية المنجزة؛ إذ يعتبر هاليدي أن النص يفسر السياق والسياق يفسر النص، ذلك أن النص تتجاذبه علاقات داخلية كي يتماسك، ومن ثمة فهو محل التأثير والتأثر من قبل المحيط، وبهذا تصبح العلاقة بين النص والسياق علاقة إلزامية، وأكد هذا التأثير والتأثر درسلر وبوجراند بحكم أنه لسياق اللغة والحالة دور حاسم في اتساق النصوص وتماسكها، بحيث يجعل من النص وحدة متكاملة لا يمكن للمتلقي الاستجابة لها وفك شفراتها ورموزها والوقوف على دلالاتها إلا باستحضار مكوناتها وبنياتها السياقية معاً.[١٦]

إن هذه العلاقة بين مكونات النص في حضور السياق هي من فرضت على أولمان مراجعة المرتكزات الأساسية لطرحه السياقي منطلقاً من لغة النص، وتتمثل هذه المرتكزات في تلك المفارقات والاختلافات البسيطة مع رواد السياق، كتفريقه بين اللغة والكلام والكلمة وجعل الكلام في مستوى السياق واللغة في مستوى الذهن، وأنه كما للكلمة معنى خارج السياق فلها تأثيرها داخله، وفي نظره أنه من خلال تحقيق هذه المفاهيم يمكن معالجة المشكلات التي تعترض منهج تحليل المعنى .

تعتبر مسألة اللغة والمعنى والسياق من المسائل اللسانية والدلالية التي فرع وأصل فيها البحث الدلالي قديماً وحديثاً، فهي تشكل بؤرة هذا النوع من الدراسات؛ بل كل مسألة من مسائل علم اللغة أو الدلالة تفترض التأسيس لها بضبط المفاهيم الأساسية التي يتأسس عليها أي طرح كان، ولقد تباينت الطروحات في تفسير المعنى وتعددت نظرياته ومنها نظرية الإشارة والنظرية السلوكية والنظرية السياقية أو نظرية الاستخدام والنظرية التحقيقية ونظرية شروط الصدق ونظرية الفضاءات الذهنية، فجل هذه النظريات كما يقول جون لاينز استفسرت عن المعنى انطلاقاً من سؤال جوهري ما المعنى؟ وكانت الإجابة تتضح في الفرق بين كلمتين هما: المعنى ويعني، فالأولى تمثل المعنى الأساسي المركزي والثانية تمثل المعنى السياقي.[١٧]

ونجد أولمان في هذا الباب يحاول أن يجيب بالشرح والتفصيل عن اللغة والمعنى وما تتضمنه اللغة من رموز وإشارات تواصلية مستندا على الجانب العاطفي أو الحالة النفسية التي تشحنها، منطلقاً من تعريفات أوجدن وريتشارد فيقول: (تلك العلامات التي يستعملها الناس فيما بينهم للاتصال والتوصيل)،[١٨] والواضح أنه يقصد من تلك العلامات أو الرموز العلامات النطقية وغير النطقية؛ أي الحسية، ثم إنه يصنف هذه الرموز إلى طبيعية وتقليدية، ويرى أنها كفيلة بتحقيق قيمتها التواصلية ما دامت ملازمة لإطارها المكاني والزماني، وإن خرجت عن هذا الإطار فحتما ستفقد قيمتها ورمزيتها.[١٩]

وفي استكمال حديثه عن العلاقة بين الرمز والمعنى فإننا نجده يشير إلى قيمة المعنى في الدراسات اللسانية، مع أن مصطلح المعنى قد عرف اضطراباً حاداً في ضبط مفاهيمه؛ لأنه قد أشار إلى تلك التعريفات المتناوبة وغير المستقرة التي ذكرها كل من أوجدن وريتشارد؛[٢٠] لكنه يرى أكبر مشكلة تعترض المعنى والتحليل الدلالي للكلمات هي التعامل مع أسماء الأعلام، فهي لا تخضع لهذا التحليل كونها تنبئ عن أسماء شخصيات ولا تدل على حياتهم بالتفصيل، فورود اسم عمر ضمن أي خطاب كان لا يدلنا على من هو عمر بالذات ومن هي هذه الشخصية بالتفصيل؛ ولكن يشير فقط إلى لقب شخص ما،[٢١] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الوعي الجيد لأولمان بهذا النوع من المشكلات التي تواجه المعنى وإدراكه لقيمة السياق في التعامل معها، فهو يقول: (إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن ...).[٢٢]

والمتتبع لتحليلات أولمان يجده مرة أخرى يحاول أن يبرر قيمة السياق انطلاقا من التفريق بين اللغة والكلام فيقول: (اللغة نظام من الرموز الصوتية المخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية؛ ولكن الكلام نشاط مترجم لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية)،[٢٣] فالكلام في نظره ما هو إلا وجه من أوجه النشاط الإنساني الفردي المعبر عن منجزاته بينما اللغة وعاء هذا النشاط وأداته، والكلام يترك أثره في السامع أو انطباعاً في نفسه عن مدلول الألفاظ؛ إذن هذه مفارقة بين ما هو موجود بالقوة وما هو موجود بالفعل وما هو فردي وما هو سياقي اجتماعي.[٢٤]

من ثمة فإن جملة التساؤلات التي طرحها في مساءلته السياق، والتي من بينها هل اللغة وسيلة واضحة يمكن الاعتماد عليها في اتصال الناس بعضهم ببعض؟ أليست اللغة تفرض حجاباً بيننا وبين الأشياء التي

نتحدث عنها؟ أليست اللغة تغرينا بهذا الاعتقاد لمجرد أن لدينا كلمات موجودة بالفعل للدلالة على هذه المعاني؟ ليؤكد فعلا قيمة السياق في الكشف عن الغموض الدلالي الذي يحيط بالألفاظ، ولا ينفي في نفس الوقت قيمة اللفظة وتأثيراتها في المعنى التي تتعرض لمجموعة من التبادلات الصوتية والصرفية تجعلها توجه ذهن متلقي الخطاب إلى مجال دلالي ما.[٢٥]

ففي حديثه عن قوة اللفظ وتأثيره في بناء معنى النص نجده ينطلق من أنه وحدة دالة، ويستند في هذا الرأي على قول بالمر: (أن اللفظة أصغر وحدة كلامية قادرة على القيام بدور نطق تام)،[٢٦] فالألفاظ (حريق، حركة، تفكيك) إذا تم استبدال أحد أصواتها أو حذفه يؤدي إلى تغيير في معناها، بحجة أن كل زيادة في المبنى أو حذف يؤدي إلى تغيير في المعنى، ومثله في ذلك تغيير اللفظ ضمن السياق النصي يؤدي إلى تغيير في المضمون كله، والواضح في الأمر أن هذه الرؤية حول تأثير اللفظ في اللغة عن طريق الوظائف التي يؤديها بطريق الظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم، هي أقرب من تفسيرات علماء اللغة العربية حول وظائف الصوت والميزان الصرفي للفظة، بل تظهر تأثيرات اللفظ في جميع اللغات، يقول تمام حسان: (ولقد لاحظ الأقدمون أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة، فإنها تتطلب في مخارج حروفها أن تكون متناسقة ولا تتسامح اللغة فتتخلى عن هذا المطلب إلا في أضيق الحدود في حالات الزيادة والإلصاق ونحوهما ...).[٢٧]

إن هذا النوع من الطرح حول قيمة اللفظ وتأثيراته في المعنى إلى جانب السياق والذي يتأتى له من بنيته ومكوناته، فإن له قيمة أخرى تجريدية اكتسبها من ذلك الشحن العاطفي الخاص بكل متلفظ؛ إذ تصبح ألفاظ اللغة محملة برواسب نفسية تعكس صورة مستعملها ونسبية معناها وهي الرؤية التي أقر بها أولمان؛ إذ نجدها تتقارب والطرح السياقي العربي الذي أشار إلى نوع من أنواع السياق وهو السياق العاطفي الذي يظهر من خلال بعض الاستعمالات للألفاظ أو التعبيرات اللسانية الممكنة الإنجاز والتي قد تبدو محضورة في حالات كثيرة، فالعرب كانت تستعمل أسلوب اللامساس والتلطف في تعبيراتها وفي تواصلها وتأدبها مع الناس، ويظهر هذا النوع حتى في التعبيرات القرآنية والحديث النبوي الشريف ومثاله قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾،[٢٨] فيأكلان الطعام فيها لا مساس وتلطف وكشف عن محضور، فجيء بالطعام المتسبب في الحدث وما ينجم عنه بدلا عن التعبير الصريح.[٢٩]

ولعل هذا الشحن العاطفي لا يتوقف على مستوى العبارات أو النصوص أدبية أو غير أدبية، بل نجده في الألفاظ منفردة أثناء الأحداث الكلامية بحيث يحمل كل لفظ قيمة نفعية وقيمة عاطفية أو نفسية تشكل معنى وجداني ينضاف إلى معناها الدلالي، فالألفاظ مثل أم، أب، وطن، وفاء، عز، كرامة، عدالة كلها لها معانيها الأساسية فضلاً عن اكتسابها معان نفسية خاصة بمستعمليها، ويبنى معناها النفسي على حسب انفعالاتهم وتصوراتهم الخاضعة لخبراتهم، ولا يتوقف المعنى النفسي على هذا النوع من الألفاظ فقط، بل كل ألفاظ اللغة مرهونة بانفعال مستعمليها.[٣٠]

ثالثاً: السياق وتأثيراته في حدود المعنى النفسي (أولمان)

يشير أولمان إلى أهمية السياق ووجود اللفظ ضمن نظم الكلام، فيقول كلمة السياق قد استعملت حديثا في عدة معان مختلفة، والمعنى الواحد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، فهو يعقب على هذا المفهوم ويقول السياق في نظره ليس مجموع ألفاظ تخضع لتراتبية ما، وفق قواعد وضوابط لغوية خاصة، بل هو أكبر من تراتبية الكلام السابق واللاحق والجمل ومجموع القطع التي تشكل النصوص بل الكتاب كله سياق، ومع ذلك يشير إلى قيمة العوامل المحيطة بالألفاظ الموجودة ضمن السياق الداخلي والخارجي؛ أي سياق اللغة وسياق الحالة بما فيها الحالة النفسية للمتكلم التي ينجم عنها ما يسمى بالسياق العاطفي والمعنى النفسي.[٣١]

والحقيقة أن نظرة أولمان إلى السياق العاطفي هي نظرة واقعية؛ فعلى الرغم من أنه يولي عناية بالسياق إلا أنه لا يتجاهل المعاني المركزية للكلمات لما لها من ظلال عاطفية ونفسية خاصة، ويؤكد أن تجاهل هؤلاء السياقيين يرجع إلى عدم مراعاتهم الفرق بين اللغة والكلام، وهذا الرأي أثبتته أيضاً تصريحات جون لاينز الواردة ضمن كتابه اللغة والسياق والمعنى يقول: (... مما لاشك فيه هذه مجرد وسيلة رمز تقليدية ملائمة تعتمد سلفا على افتراضين أولهما أن معاني الألفاظ منفصلة عن بعضها البعض، وثانيهما أنه بإمكاننا أن نميز بين معنى وآخر، وعليه تعتمد وسيلتنا للرمز هذه على افتراض مفاده أن معاني الألفاظ قائمة بحد ذاتها ويمكن تمييزها، وهو افتراض معمول به في المعاجم القياسية، ونحن بدورنا نقره في الوقت الحاضر في الأقل).[٣٢]

ومن التأثيرات التي يتركها السياق العاطفي على دلالات الألفاظ ومعانيها ضمن النصوص هو تدرجها مما هو مركزي إلى ما هو نفسي، ويظهر هذا بصفة كبيرة على تلك الألفاظ التي تحمل معاني وتصورات تجريدية نسبية كالحرية و العدل والديمقراطية والهوية والإنسانية أو تلك التي تعبر عن الحالات النفسية والأخلاقية والشعورية، فاستعمالها عند المخاطب سوف يجعلها تتوسع أو تضيق أثناء الاستعمال ومن ثمّ تخضع لعاطفته وانفعاله؛ إذ يصبح معنى (الحرية أو الهوية أو الديمقراطية) أو غيرها يختلف من المخاطب إلى المتلقي بحسب الحيز الزماني والمكاني، وبحسب خبرتهما ومجال الاستعمال والحالة الانفعالية لهما، وإذا خرجت هذه الألفاظ عن هذه الزمكانية يمكن لمعناها أن يتضاءل تدريجياً؛ إذ يفقد تأثيراته ضمن الخطاب؛[٣٣] ولذلك يبرر أحد الباحثين قيمة السياق وتشكلات أنماطه على مستوى ما يعرف بالفضاء الذهني الذي يترك مجالا واسعا لاستعمال اللفظة ضمن شبكة واسعة من العلاقات الدلالية تفترضها ممكنات القول عند مستعمل اللغة: (.... وإذا كنا نريد تحديد المعنى عن طريق الاستعمال فعلينا أن نحدد بصورة دقيقة أنواع القواعد الاستعمالية التي توجد في أذهاننا).[٣٤]

رابعاً: السياق والحيز – منطقة المعنى (أولمان)

للكلمات والألفاظ مجالات ومساحات دلالية واسعة يفرضها الاستعمال النمطي الخاضع لشبكة العلاقات الدلالية الموجودة على مستوى الذهن، ويمكن أن نكشف عن هذه الدلالات بتتبع مواضعها وسياقاتها ضمن مجموع النصوص المنتجة من قبل منجز اللغة، فاللفظة أشبه بالحرباء تتلون بتلون المكان الذي تحل فيه، وكما يقول السياقيون الاستعمال يأتي أولا وحينئذ يتقاطر المعنى، ولهذا فإن ستيفن أولمان يستعمل مصطلحات خاصة بوصفها منطقة المعنى أو حيز المعنى، ويقصد به أن الألفاظ أثناء الاستعمال تخضع لمجال دلالي يتوسع بحسب استعمالات المخاطب ومقاصده وخبرته ومقدرته الإنجازية.

فقد تنتقل دلالات الألفاظ ضمن النصوص من دلالاتها المركزية إلى دلالاتها الهامشية أو الإيحائية، ومن ثمّ يعمل ذهن المخاطب أو المستقبل إلى صرف هذه الدلالة من مجال إلى مجال، ومثال ذلك ورود لفظ (عميد) ضمن سياق خطابي ما، سيجعل مجاله الدلالي الواسع يتمظهر أمام المتلقي، فيتضمن بذلك شخصية المتحدث عنه من حيث انتمائه الأكاديمي ووظيفته، في حين لو استعملها مخاطب آخر وفي سياق آخر وضمن مجالات ومساحات واسعة، فإن الذهن يعمل على صرف معناها في ما يقابلها في هذه الفضاءات، فلفظة عميد تنتمي إلى مجال ألقاب التكريم الأسري كما تنتمي إلى الحقل

الديبلوماسي والنظام العسكري؛ أي الرتبة العسكرية فضلاً عن حقل الفن كعميد الفن أو الطرب الأندلسي، ومن ثمة فإن السياق هو الذي يرسم معالم استعمال الألفاظ ومجالاتها ويصرف الذهن إلى حدود حيز ما أو مجال ما أو ضمن الفضاءات الواسعة والمختلفة التي ينشأ فيها المعنى.[٣٥]

والملاحظ على أولمان أثناء حديثه عن المعنى يحيلنا إلى الاختلافات الحاصلة بين الباحثين حول تقسيماته، فمنهم من قسم المعاني بحسب موجبات السياق، ومنهم من خالف ذلك وأدرجه ضمن مستوى خبرة المخاطب، فجون لاينز مثلا قسم المعنى إلى قسمين المعنى الوصفي واللاوصفي، الوصفي هو الأساسي المركزي الموجود في اللفظ أو كما سماه ستيفن أولمان بالتقليدي أو النواة؛ أما المعنى اللاوصفي أي اللامركزي فهو أقل مركزية من الأول وهو الذي يمثل المعنى السياقي،[٣٦] ومن الأمثلة التي تؤكد حيز المعنى ومجالاته الواسعة التي يرسم معالمها الذهن بحسب خبرة المخاطبين والمتلقين وما يحيط بهما، هو ورود لفظة رجل ضمن خطاب ما، فستحافظ على معناها رجل إذا ما قابلها الذهن بالحيوان؛ ولذلك سيرسم لها مجال استعمال واسع ضمن فضاء محدد؛ إذ يكشف لنا معناها انتماءها إلى جنس الإنسان المغاير لجنس الحيوان ويتحدد الفارق بينهما، في حين لو ورد لفظ امرأة في الخطاب نفسه وفي مقابل استعمال رجل ستتقلص منطقة المعنى، ويصبح كل منهما من صنف واحد وهو جنس الإنسان، والمفارقة تكمن في أن الأول ذكر والثاني أنثى مع أن كلاهما ينتمي إلى حقل دلالي واحد[٣٧]، وفي خضم حديثه عن حيز المعنى ومنطقته والتي يعمل الذهن فيها على صرف إحدى الدلالات الممكنة للفظ، وعقده لقرينة بين الشيء المشير والمشار إليه وفق زمكانية تفترض حضور سياقات لغوية ومقامية وانفعالية، تشحن دلالات الألفاظ بشحنة عاطفية نفسية تخص كل متكلم أو سامع، نجده يطرح ضمن السياق وفضاء المعنى قضايا دلالية أخرى تعبر عن إشكالات المعنى باستمرار .

خامساً: السياق وإشكالات المعنى (أولمان)

في حديث أولمان عن إشكالات المعنى وأثر السياق في معالجتها أشار إلى ما يسمى بتناوب المعنى، ويقصد به أن بعض الكلمات أو الألفاظ تتناوب عليها دلالات غير الدلالة المركزية حتى تشيع وتعرف الثبات وتصبح بمثابة الدلالة المركزية، ولعل الذي أسهم في شيوعها هو تواردها ضمن نصوص وخطابات مختلفة وفي سياقات متنوعة باستمرار، وهذا أشبه بتناوب الدلالات المجازية على الكلمة حتى تشيع في بعض الحالات أكثر من الدلالة الحقيقية، ومما يستدل به على هذا النوع هو لفظ القرابة الذي يتناوب

عليه المعنيان معا قرابة الرحم وقرابة المسافة، حتى إن هذا التناوب صار يشكل غموضاً في كثير من الحالات عند المتكلم أو السامع مهما كانت درجة خبرتهما ومهما كان حيز المعنى محصوراً، ومن ثمّ لا يدرك كل منهما المعنى المراد من الدلالات المتناوبة، ويبقى الفاصل الوحيد في مثل حالة التناوب هو مقدرة الذهن على عقد العلاقة بينهما بتركيزه على إحدى السياقات أو تجميعها معا بوصفها عوامل مساعدة في إزاحة هذا النوع من التناوب.[٣٨]

أما بالنسبة إلى غموض المعنى فهي من المسائل التي يطرحها علم الدلالة باستمرار إلى يومنا هذا، وقد شكلت في كثير من الحقول العلمية كأصول الفقه واللسانيات والفلسفة بؤرة توتر في التعامل مع دلالات الألفاظ؛ ولذلك نبه أولمان إلى بعض الكلمات والألفاظ التي تتعرض للبس والغموض من حيث معناها كونها تحتمل أكثر من دلالة، وعليه فعلى المتلقي للنص أو الرسالة الملفوظة أن يراعي موضعها في السياق المنجز من قبل منتج الخطاب، فالفعل (أدرك) مثلا له فضاء أوسع للمعنى؛ إذ يحتمل معاني أو دلالات أكثر كأن يدرك الشخص وقت الصلاة أو يدرك صديقا له أي يلتحق به أو يدرك زمانه أي يعاصره أو يدرك الشخص فيراه، فإذا حذف الفعل أدرك من سياقاته التبس علينا معناه،[٣٩] وعلى أية حال فإن هذه المسألة هناك من أثارها من أهل الاختصاص بشكل مكثف، وكأن الطرح يعيد نفسه لما يشير جون لاينز إلى تلك الألفاظ التي تشكل جناسا باتحادها في الصيغة والنطق وتقاربها في الكتابة مع أنها تنتمي إلى مجلات مختلفة؛ إذ على عالم الدلالة أن يوظف خبرته في ملاحظة التكافؤ النحوي والصرفي بين صيغتها سواء كانت في الماضي أو الحاضر.[٤٠]

فضلاً عن ذلك فإن أولمان أشار إلى أن هناك ثروة لفظية كبيرة تشكل غموضاً في اللغات ويصعب تحديد دلالاتها كبعض الألفاظ التي إذا ما حاول السامع استحضارها في ذهنه، فستحضر معها مجموعة من الظلال والألوان، تشكل تصورا عاما غير قابل للتحديد، بحيث يصعب إبراز شكلها أو لونها وحجمها أو مادتها، ويبقى عامل السياق والخبرة هو الفاصل في إثبات دلالتها، فضلاً عن ذلك فإن هناك من الألفاظ التي شحنت دلالاتها شحنا عاطفيا جعلت تصورها يشغل حيزاً عند المتكلم بها كلفظة الجمال أو الزمن التي تبقى عند كل سامع للخطاب محددة الفضاء أو المجال الدلالي، كون معايير الجمال أو حدود الزمن قد تشكلت في نفس كل إنسان بحسب خبرته الشخصية،[٤١] ويقول أولمان في قضية غموض المعنى: (على فرض أننا استطعنا أن نعين لب المعنى وجوهره بصورة لا يتطرق إليها شك، فإن

حدود هذا المعنى سوف تضل غامضة ومائعة مع احتمال وجود حالات كثيرة من التداخل بين هذه الحدود ....)،[٤٢] ولهذا فإن كثيرا من الباحثين يحبذون هذه الظلال التي تقع على المعاني؛ لأنها في النهاية وفي نظرهم أنها تومئ إلى المعنى الدقيق وتكشف عن مساره.[٤٣]

سادساً: السياق العاطفي وقانون التضاؤل التدريجي للمعنى (أولمان)

يحتل السياق العاطفي مركزا هاما عند أولمان في التحليل الدلالي للكلمات والألفاظ، كونه يكسبها شحنات عاطفية تترك أثرها في نفوس السامعين، فهو يستخلص هذه القيمة من وظيفة اللغة ضمن الخطاب مركزا على الوظيفة الأولى لها التي تتمثل في التعبير عن الحقائق الموضوعية ذات الهدف التواصلي النفعي، والوظيفة الثانية وهي الوظيفة الانفعالية التي تعمل على إثارة العواطف والمشاعر والتأثير في السلوك الإنساني، لذلك نجده يقول: (فالنبر والإيقاع والتنغيم واختيار الكلمات .... قد يكون لها نصيب في إحداث هذا التأثير)،[٤٤] ومما ينطبق على ذلك ما يستعمله بعض رجالات السياسة في إطلاق بعض الألفاظ أثناء مخاطباتهم لمعارضيهم كإطلاقهم لفظ الدكتاتورية والرجعية والاستبداد، فهي مضغوطة بشحنات عاطفية تعبر عن مواقف منتج الخطاب وخبرته وما تحمله من انفعالات تترك أثرها في متلقي الخطاب ضمن السياق الذي أنجزت فيه،[٤٥] وهو الشيء نفسه الذي يظهر في بعض الإبداعات الشعرية أو الكتابات الأدبية من خلال تلك الظواهر الأسلوبية الجميلة التي تحمل البعدين معا النفعي والتأثيري ضمن كلماتها وألفاظها المرصوفة في الأنماط التعبيرية البارزة بسمتها الفنية والمؤثرة بشحنتها الانفعالية .

ولكن الذي يمكن أن يلاحظه الدارس لهذا النوع من الدلالات ذات الشحن العاطفي هو تضاؤلها تدريجيا بحسب نوعية الاستعمال والموقف والخبرة عند كل منجز للخطاب؛ إذ لا تتساوى درجة وقوة المعنى النفسي عند الجميع، ومن ثمّ فضاء المعنى قد يتسع أو يضيق وينخفض الانفعال المقترن بالدلالات أو يرتفع ومن ثمة تحجب تأثيرات المعنى.

وهناك عوامل أخرى تعمل على بعث روح الإيحاء العاطفي في الألفاظ التي تشكل حقولا دلالية ضمن خطاباتنا اليومية تتمثل في جملة الألفاظ التي تدل على القيم الخلقية نحو الحرية، والعدل، والحق والصفات التي تستعمل في المدح أو القدح مثل طيب،و جميل، ورفيق، وشنيع، ودنيء، وحقير، وكلها ألفاظ يصعب تخليصها أو تجريدها مما فيها من شحن عاطفي نفسي يجعلها متفاوتة الدلالات من

شخص لآخر،[٤٦] ومثاله أيضاً في ما يتعلق بألفاظ تراثنا العربي وتراكيبه كقولنا: (عام الفيل)، فهناك من تتعلق نفسه عند سماعه لهذا التركيب بالفرح والسرور؛ لأن ذهنه قد صرف المعنى إلى زمن مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من تتعلق نفسه بحالة شعورية مضادة للأولى كالاشمئزاز؛ لأن ذهنه يصرف المعنى ويربطه بمحاولة أبرهة هدم الكعبة، فهذه الظلال العاطفية تتركها سلسلة الملفوظات في النفوس وتشحنها، وعلى أساس هذا الطرح يتضح أن أولمان ركز على رأي أردمان في تفريقه بين أنواع المعنى ومنها المعنى المركزي الأساسي في اللفظ والمعنى السياقي الذي ينبثق عنه المعنى النفسي الانفعالي المفترض من قبل الحالة النفسية لمستعمل اللغة. [٤٧]

والملاحظ من خلال مقولاته عن أنواع المعنى وخاصة النفسي منها، قد تجعل منه معنى محورياً يحضر في جميع حالات سياق الخطاب مادام أنه أكثر تأثيراً في المتكلمين والسامعين على مر تاريخ اللغة ومرتبط بخبرتهما،؛ ولكنه قد يتعرض للتضاؤل التدريجي إذا ما لم يحترم منتج الخطاب موضعه ضمن السياق أو نتيجة لعدم استعماله من قبل المجتمع بصورة استمرارية، ومن ثمة يفقد تلك الشحنة الانفعالية والطاقة التعبيرية التي كان يمتلكها، فلو خاطبت الظالم لظلمه ونعته بالظالم وتعمدت تكرار مخاطبته بهذه الصفة (الظلم) باستمرار قبل أن ينال عقوبته وبعد أن استنفذها، فإن هذا اللفظ سيفقد لا محالة أثره في نفسه بعد سماعه مرارا وتكراراً قبل وبعد العقوبة، ومن ثمّ يفرغ من محتواه وشحنته العاطفية المضافة إلى معناه السياقي، ومن ثمة يصبح لهذا النوع من السياق أثر في توجيه دلالات الألفاظ والنصوص والخطابات ويتحكم في درجة التفاوت النسبي للمعاني عند مستعملي اللغة.

الخاتمة:

توصل البحث إلى ما يأتي:

١. وفي مجمل القول على الرغم من أن ستيفن أولمان في بدايات كتابته حول اللغة والمعنى في خضم السياق اعترف بأن البحث في مناهج المعنى وطرق تفسيره أو التحليل الدلالي كان من المهمات الأولى والأساسية للفلسفة وعلم النفس، ومع ذلك الاعتراف فقد شيد بقيمة نظرية السياق وما حققته من إنجازات فعلية في التعامل مع المعنى وتقديم نظرية تغطي حاجات الباحثين من علماء الدلالة وتحليل الخطاب واللسانيات بفروعها.

٢. ولقد تجلت لمسته الخاصة فيما أضافه لهذه النظرية حتى يكتمل بناؤها، فبغض النظر عن السياق اللغوي وسياق الحالة، فها هو يؤسس قيمة للسياق العاطفي المتضمن المعاني النفسية المشحونة بانفعالات منتجي الخطاب ومتلقيه، والذي لابد من استثماره في تحليل الخطاب وأخذه بعين الاعتبار، مؤكدا أن السياق هو صمام الأمان والكاشف الضوئي عن غموض الدلالات التي تنجم عن المتجانسات اللفظية أو تناوب المعاني، وهذه الرؤية لا تبتعد كثيرا عن افتراضات علماء العربية والبلاغة لمقامات الخطاب والمتخاطبين.

٣. من ثمة فإن هذه النظرية قد حققت بالنسبة إليه أهدافا كثيرة منها أنها ساعدت المنهج التاريخي في دراسة المعنى والكشف عن أنواعه، وفعلت السياق في التحليل الدلالي للألفاظ والجمل والنصوص والخطابات الأدبية، ووضعت معايير لشرح معاني الكلمات وتفسيرها؛ ولذلك انطلق في تفسيره للمعنى من أنه علاقة ذهنية منطقية ونفسية يعقدها الذهن بين اللفظ وما يشير إليه من تصورات مقترنة بشحنات عاطفية؛ فقد أعطى للمعنى توجهاً نفسياً يمكن للسياق الخطابي أن يعدل في توجيهه على الرغم من ذلك الحيز الذي يشغله فضاء المعنى المفروض من قبل الاستعمال اللغوي، وبإمكانه أن يتعرض في بعض الحالات إلى قانون التضاؤل التدريجي فيفقد تلك الشحنة العاطفية المتدرجة أثناء لحظات إنتاج الخطاب .

٤. ولأن المعنى يقوم على مفهوم الحيز الحاصل من تلك الإمكانات التي تتيحها الاستعمالات اللغوية والمنجزات الخطابية، فإنه قد يتحرر في حالات أخرى من تلك التصورات المنطقية للعقل والشحنة العاطفية للنفس والمعنى التقليدي للفظ، ويستمر السياق في فرض ما هو مطابق للواقع، ومن هنا لا بد من استثمار هذه المرتكزات التي أضافها ستيفن أولمان لهذه النظرية، وإعمالها في تحليل الخطابات والنصوص بحكمة حتى تمثل حجر الأساس كما قال، فالسياق العاطفي والمعنى النفسي ومنطقة المعنى والتضاؤل التدريجي للمعنى كلها مفاهيم حاصلة تتجسد لحظات إنتاج الخطاب؛ إذ من الواجب على محللي الخطاب وفق ما توصلت إليه المناهج اللسانية والنقدية المعاصرة وضعها في الحسبان أثناء قراءة مقاصده على الرغم من نسبيتها.

هوامش البحث:

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم، **معجم لسان العرب**، ط١، تحقيق: نخبة من الأساتذة، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة (سوقم)، مج٣، ج ٢٤، ص٢١٥٣.

[٢] الزبيدي، السيد محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، (الكويت: مطبعة حكومية، ١٩٨٧م)، باب القاف، ج٢٥، ص٤٧٤.

[٣] سورة ق، الآية ٢١.

[٤] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، ط١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، مادة (سوق)، ج٥٢، ص٥٢٥٦.

[٥] الشهري، عبد الهادي ظافر، **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، ط١، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م)، ص٤٠.

[٦] انظر: المرجع السابق، ص٤٠.

[٧] انظر: المرجع السابق نفسه، ص٤١.

[٨] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تعليق: محمد رشيد رضا، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٨م)، ص٢٢١-٢٢٢؛ ونهر، هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، ط١، تقديم: علي الحمد، (إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص٤٤٢.

[٩] نهر، هادي، **علم الدلالة**، ص٦١.

[١٠] المرجع السابق، ص٣٤٧-٣٤٨.

[١١] انظر: بالمر، أف آر، **علم الدلالة**، ترجمة: مجيد الماشطة، (بغداد: مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٥م)، ص٦٣.

[١٢] انظر: الشهري، عبد الهادي ظافر، **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، ص٤٠.

[١٣] بالمر، أف آر، **علم الدلالة**، ص٦١.

[١٤] انظر: السعران، محمود، علم **اللغة، مقدمة للقارئ العربي**، (تصوير جامعة حلب، ١٩٩٤م)، ص٣١٠.

[١٥] فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٠م)، ص٢٢٨.

[١٦] انظر: نهر، هادي، **علم الدلالة**، ص٤٧٥-٤٧٦.

[١٧] انظر: لاينز، جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق الوهاب، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م)، ص٣٣٤٤.

[١٨] أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، تحقيق: كمال بشر، (بيروت: دار غريب للطباعة، ١٩٩٧م)، ص٣٣.

[١٩] انظر: المرجع السابق، ص٣٤.

[٢٠] انظر: المرجع السابق نفسه، ص٦٦ -٧٧.

[٢١] انظر: نفسه، ص٨٢.

[٢٢] نفسه، ص٧٣ .

[٢٣] نفسه، ص٣٧.

[٢٤] انظر: دي سوسور، فرديناند، **علم اللغة العام**، ترجمة: يوسف عزيز، (بغداد: دار آفاق العربية، ١٩٨٥م)، ص٣٢؛ ونهر، هادي، **علم الدلالة**، ص٢٨٢.

[٢٥] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص١٧-١٨.

[٢٦] المرجع نفسه، ص٥٥.

[٢٧] حسان، تمام، **اللغة العربية: معناها ومبناها**، ط١، (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٩٤م)، ص٢٦٥.

[٢٨] سورة المائدة، الآية ٧٥.

[٢٩] انظر: نهر، هادي، **علم الدلالة**، ص٤١٩.

[٣٠] انظر: محمد علي الخولي، **علم الدلالة**، (عمان: دار الفلاح، ٢٠٠١م)، ص٧٢-٧٣.

[٣١] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص٦٨.

[٣٢] لاينز، جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ص٢٢.

[٣٣] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص٧٠.

[٣٤] جفة، عبد المجيد، **مدخل إلى الدلالة الحديثة**، ط١، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠١م)، ص٢.

[٣٥] انظر: حجازي، محمود فهمي، **مدخل إلى علم اللغة**، (القاهرة: دار قباء، د.ت)، ص١٦٢.

[٣٦] انظر: لاينز، جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ص٣٥.

[٣٧] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص٧١.

[٣٨] انظر: المرجع السابق، ص٧١.

[٣٩] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص٧٢.

[٤٠] انظر: لاينز، جون، **اللغة والسياق والمعنى**، ص٤٧.

[٤١] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص١٠٨-١١٠.

[٤٢] المرجع السابق، ص١٠٨ -١٠٩.

[٤٣] انظر: المرجع السابق نفسه، ص١١١.

[٤٤] نفسه، ص١٢٢.

[٤٤] نفسه.

[٤٥] انظر: نفسه، ص١٢٢.

[٤٦] انظر: يونس، محمد، **المعنى وظلال المعنى أنظمة في الدلالة العربية**، ط٢، (بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م)، ص١٩٨.

[٤٧] انظر: أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ص١١٥.

References المراجع

Al--Jurjāni, ‘abd al-Qāher, *Dal-ā’il al-’i‘jāz Fi ‘ilm al-Ma‘āniy*, Ta‘liq: Moḥammed Rashid Riḍā, (Lebanon: Dār al-Ma‘rifah, no date).

Al--Khūliy, Moḥammad ‘al-i, *‘ilm al-Dilālah*, (Amman: Dār Al-Fal-āḥ, 2001).

Al--Shihriy, ‘abd al-Hādiy Ẓāfer, *’istātigiyyat al-Khiṭāb: Muqārabah lughawiyyah tadāwliyyah*, 1st Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadid, 2004) .

Al--So‘rān, Maḥmūd, *’ilm al-Lughah, Moqadema Li al-Qāre’ al-‘arabi*, (Al-eppo: Taṣwiyr Jāmi‘ah Al-eppo, 1994).

Al--Zubaidiy, Moḥammad al-Mortaḍā, *Tāj al-‘arūs Min Jawāher al-Qāmūs*, Taḥqiq: Tāha Muṣṭafā Ḥijaziy, (Kuwait: Maṭba‘ah Ḥukumiyyah, 1987).

De Saussure, Ferdinand, *‘ilm al-Lughah al-‘āmah*, Tarjamah: Yosūf ‘aziz,(Baghdad: Dār ’āfāq al-‘arabiyyah, 1985).

Hassān,Tammām, *al--Lughah al-‘arabiyyah Ma‘nāhā Wa Mbnāhā*, (Casablanca: Dār al-Thaqāfah, 1994).

Hijāziy, Maḥmūd Fahmiy, *Madkhal- ’ilā ’ilm al-Lughah*, (Cairo: Dār Qubā’, no date).

Ibn Manẓūr, Mohammad Bin Mukrim, *Lisān al-‘arab*, Taḥqīq: Jam‘ Min al-Muḥaqqiyn, (Beirut: Dār al-Ma‘āref, no date).

Ibn saidah, *al-Moḥkam Wa al-Moḥiṭ al-’a‘ẓam*, Taḥqiq: ‘abd al-Ḥamid Hindāwiy, (Beirut: Dār al-Kutub al-‘ilmiyyah, 2000).

Jaḥfah, ‘abd al-Majid, *Madkhal- ’ilā al-Delālah al-Ḥadithah*, 1st Edition, (Morocco: Dār Toubqāl Li al-Nasher, 2001).

Lāynz, John, *al-Lughah wa al-Ma‘nā wa al-Siyāq*, Tarjamah: ‘abbās Ṣādiq al-Wahhāb, (Baghdad: Dār al-She’ūn al-Thaqāfiyyah al-‘āmah, 1987) .

Naher, Hadiy, *‘ilm al-Dilālah al-Taṭbiqiy Fi al-Turāth al-‘arabi*, Taqdim: ‘al-i al-Ḥamad, 1st Edition, (Irbid: Dār al-’amal- Li al-Nasher, 2007) .

Pālmer, ’if ’ār, *‘ilm al-Delālah*, Tarjamah: Majid al-Māshiṭah, (Baghdad: Kuliyyah al-’ādāb Bi al-Jami‘ah al-Muṣtansiriyyah, Maṭba‘ah al-‘umāl al-Markaziyyah, 1985) .

ulmān, Stiven, *Dawr al--Kal-emah Fi al--Lughah*, Tarjamah: Kamāl Bishr, Tahqiq: Kamal- Bishr, (Beirut: dar Gharib Liltiba’ah Wa al--Nashr, 1997).

Vendris, *al-Lughah*, Tarjamah: ‘abd al-Ḥamid Al-Dawākhliy, Moḥammad Al-Qaṣṣaṣ, (Cairo: al-Maktabah al-’anjlo Maṣriyyah, 1950) .

Yūnus, Moḥammad, *al-Ma'nā Wa Ẓilāl al-Ma'nā 'anẓimah Fi al-Delāla al-'arabiyyah*, (Beirut: Dār al-Madār al-Islāmiy, 2007) .